

الحركة العمالية في روسيا وتطورها التنظيمي والسياسي حتى عام ١٩١٧

م . د . قائل محسن كاظم
المديرية العامة لتربية ذي قار

الملخص:

روسيا دولة كبيرة وتمتلك موارد متنوعة، وقد مر تاريخها بمراحل عديدة ، وكان للحركة العمالية دور مهم في تلك المراحل ، فقد تحملت أعباء مواجهة النظام القيصري بعد ان تمكنوا من تأسيس حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي الذي جعل لهم دور كبير في التغييرات السياسية التي مرت روسيا ، فأشتركوا في ثورة ١٩٠٥ ، وتمكنوا من تحقيق الكثير من الانجازات ، كان ابرزها افتتاح مجلس الدوما ، ثم اشتراكهم في الثورة الاشتراكية عام ١٩١٧ والتي حققت مطالبهم ، فضلاً عن اشتراكهم بالسلطة السياسية. **الكلمات المفتاحية:** التظاهرات الاضرابات العمال النقابات الاشتراكية الثورة .

The labour movement in Russia and its organizational and political development until 1917

Dr.Qabil Mohsin kadhim

Abstract

Russia is a large country and has a variety of resources, and its history has passed through many stages, and the labor movement has played an important role in those stages, it bore the burden of confronting the Tsarist regime after they managed to establish the Russian Social Democratic Workers' Party, which made them a big role in the political changes that passed Russia, they participated in the revolution of 1905, and they were able to achieve many achievements, most notably the opening of the Duma In 1917, they participated in the socialist revolution, which fulfilled their demands, as well as their participation in political power.

Keywords: Demonstrations Strikeworkers, Socialist Unions Revolution.

المقدمة.

يشكل موضوع الحركة العمالية في روسيا ودورها التنظيمي والسياسي، صفحة مهمة من تاريخ روسيا الحديث والمعاصر، لما له من اهمية في التطور الاقتصادي للبلد، فهم يشكلون النسبة الاكبر لمجموع سكان المدن، فضلاً عن نضالهم السياسي في مواجهة اضطهاد الحكومة القيصرية، حتى انهم صاروا قوة التحرك الاساس لكل حدث تاريخي مهم في روسيا، وعامل ايجابي في عملية التغيير التاريخي.

قسمت الدراسة الى ثلاثة اقسام: تضمن القسم الاول الحركات والاضرابات العمالية حتى ثورة ١٩٠٥ ، واقتصر نشاط العمال في بداية الامر على الاضرابات والتظاهرات العفوية غير المنظمة في العديد من المدن الروسية، وكانت مطالبهم في اغلب تلك التظاهرات تركز على تخفيض ساعات العمل وزيادة الاجور، فضلاً عن تحسين الظروف الصحية لهم، لكن سرعان ما حدث تغيير في حياة العمال بعد تشكيلهم لتنظيمات للمطالبة بحقوقهم، وصارت فيما بعد تعرف باتحاد العمال في سبيل تحرير الطبقة العاملة، والتي عُدَّت الممثل الرئيس للعمال، وبعد تأسيس حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي ، انضم اتحاد العمال اليه.

اما القسم الثاني تضمن نشاط الحركة العمالية اثناء ثورة ١٩٠٥، والذي تمثل في اسناد الثورة الشعبية التي ظهرت اثناء الحرب (الروسية - اليابانية)*، من خلال التظاهرات والاضرابات، حتى انهم تمكنوا من تأسيس هيئة سميت بـ (مجلس المفوضين)، تشمل كافة عمال المصانع، وتمكنت من تحقيق انجازات باستجابة الحكومة الروسية لمطالبهم، وتأسيس مجلس الدوما، الذي سرعان ما اغلقتة الحكومة لتعود الاضرابات والتظاهرات.

شمل القسم الثالث ظروف العمال في الحرب العالمية الاولى، والذين تحملوا اعباء تلك الحرب، اذ ازدادت ساعات العمل الى (١٢) ساعة يوميا، وارتفعت الاسعار، ترتب عليه العودة للتظاهرات والاضرابات ورفع الشعارات السياسية المطالبة بسقوط الحكومة القيصريّة، مما عجل من قيام الثورة الاشتراكية عام ١٩١٧.

اولا: الحركات والاضرابات العمالية حتى عام ١٩٠٥.

لم تهتم الحكومة القيصريّة بحالة العمال والظروف الصحية التي يعيشون بها طيلة المدة التي سبقت عام ١٨٩٠، فلم يكن امام العمال الا القيام باضرابات من اجل لفت انتباه الحكومة اليهم، لاسيما بعد المجاعة التي اجتاحت روسيا عام ١٨٩١ وانتشار وباء الكوليرا، فظهرت خلال خمس سنوات (١٨٩٠-١٨٩٤) ما يزيد على (٢٦٤) اضراب للعمال، اشترك فيه اكثر من على الفى عامل، وكانت مطالبهم تؤكد على: تخفيض ساعات العمل، زيادة الاجور، وتحسين ظروفهم الصحية.

(Robert G. Wesson, 1974, P.14.)

في عام ١٨٩٢ اشترك اكثر من (١٥٠٠٠) عامل في اضراب عفوي غير منظم في عدد من المدن الروسية منها (بيوزوفكا ، مايويول، ولوغانسك - Lugansk ، Yuzhovka ، Mayyol) وغيرها، ولم تتمكن الحكومة القيصريّة من السيطرة عليها وتفريقها، الا بعد تدخل القوات العسكرية واستعمالها القمع والتتكيل بالعمال المتظاهرين. (بييفانوف وفيديوسوف، ١٩٧٠ ص ٤٢٢). تجدد الاضراب العمالي في ايار من العام نفسه بمناسبة اليوم العالمي للعمال، وكان اشدها في مدينة (لودز - Lodz)، اذ اشترك في الاضراب اكثر من (٣٠٠٠٠) عامل، مما تطلب الامر تدخل القوات العسكرية القيصريّة، لكنها لم تتمكن من انتهاء الاضراب، وسرعان ما ظهرت انتفاضة للعمال في المدينة نفسها، اصطدمت مع القوات العسكرية، وتمكنت من السيطرة على بعض الثكنات العسكرية وسجن المدينة، واضطرت الحكومة الى جلب قوات عسكرية اضافية من مناطق اخرى قدرت بـ (٤٠٠٠٠) مقاتل لمواجهة العمال المنتفضين واستعملت القوات العسكرية اقصى اساليب التتكيل بالعمال، فضلا عن الاعدام الميداني دون محاكمة.

(Ponomarv and others, 1970, P.36-38.)

اتجه العمال الى تنظيم انفسهم وتوحدوا مع بعض التنظيمات الاشتراكية لتوحيد مطالبهم واخذ حقوقهم، لتبدأ مرحلة جديدة عام ١٨٩٤، واصدرت هذه التنظيمات منشورات تطالب بحقوق العمال، وقد انضم (لينين - Lenin) الى تنظيم للعمال يطلق على نفسه (المجموعة المركزية لتوحيد الحركة العمالية)، وكان له دور في تنظيمهم ووضع برنامج عمل لهم

(Vladimir Lilch Lenin, 2005, P.5.)

في عام ١٨٩٥ حدث تغيير في تنظيمات العمال، وبمبادرة من لينين توحدت التنظيمات الاشتراكية في منظمة واحدة سميت بـ (اتحاد النضال في سبيل تحرير الطبقة العاملة) ، وترکز نشاط عملها في بداية الامر في المصانع ، واصدر الاتحاد المذكور العديد من المنشورات التي تركز على اوضاع العمال ومطالبهم. (Harding, 2002, P.335.)، وبذلك تحولت الحركة العمالية الى منظمة لها قيادات واضحة واهداف صريحة لتبدأ مرحلة جديدة للعمال في قيادة نفسها.

اعتمدت الحركة العمالية على تحالف النضال اعتمادا كليا في المطالبة بحقوقهم، واصدرت جريدة سرية عرفت بـ (رابوتشييه ديلا - Rabocheism Dyelo) وتعني القضية العمالية، وقد كتب فيها لينين العديد من المقالات التي تطالب بحقوق العمال، لكنها تعرضت الى انتكاسة عندما كشفت الحكومة امرها، واعتقلت ما يقارب (٨٨) عضوا من اتحاد النضال في كانون الاول ١٨٩٥. (Murray Bookchin, 2004, P.63.)

في مايس ١٨٩٦ تجددت اضرابات العمال، فقد اضرب عمال النسيج في (بطرسبورغ - Petersburg) وساندهم عمال التعدين، وتلخصت مطالبهم بتخفيض ساعات العمل وحصرها بعشر ساعات ونصف، ووعدهم الحكومة بتحقيق هذا المطلب مقابل انهاء الاضراب، لكن الحكومة سرعان ما تراجعت عن وعدها، فعاد الاضراب مرة اخرى في كانون الثاني ١٨٩٧، اذ اشترك فيه (٢٠٠٠٠) عامل، وتسببوا في شل الحركة في المعامل، مما اضطر الحكومة ان تتعامل معهم بمنتهى القسوة، فضلا عن اعتقالها الكثير من قادة العمال. (شميدت واخرون، ١٩٨٦، ص١٠٢).

تكررت الاضرابات في المدن الروسية في العام نفسه، لاسيما في بطرسبورغ وموسكو، واستمرت لمدة شهر كامل، ما اضطرت الحكومة الى الاستجابة لمطلب المتظاهرين الذي يؤكد على تخفيض ساعات العمل، وتم الاتفاق على جعله احدى عشر ساعة ونصف (Sidney Harcave, 1959, P.372-373)، ويعد ذلك انتصارا للحركة العمالية في نضالها المرير، ودليلا على التنظيم الواعي للحركة.

تشكلت في بطرسبورغ وموسكو وعدد من المدن الصناعية عام ١٨٩٧ منظمات اشتراكية - ديمقراطية من العاملين في المصانع عرفت بأسم (اتحادات النضال - Struggle Unions)، لكن هذه المنظمات كانت متفرقة ولم تكن اهدافها موحدة، وبرنامجه لم يكن مشترك، مما كان عاملا في اضعافها، فضلا عن تمكن الحكومة القيصرية من اعتقال الكثير من قادتها. (بييفانوف وقيديوسوف، المصدر السابق، ص٤٤٠).

في عام ١٨٩٨ اشترك العمال في المؤتمر التأسيسي لحزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي، الذي عقد في مدينة (منسك - Minsk)، والذي اعلن فيه عن تأسيس الحزب رسميا، وحدد اهدافه الرئيسية ومنها النضال ضد الحكم القيصري، وتوحيد المنظمات العمالية الاشتراكية في حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي، لكن الحزب افتقر الى نظام داخلي.

(ГддР разработка, 1976, C.15.)

بعد تشكيل الحزب المذكور انسحب بعض العمال، بحجة ان الطبقة العاملة ليست بحاجة الى حزب سياسي، بل الى نقابات للعمال تساعدهم في النضال الاقتصادي ضد ارباب العمل والحكومة، مؤكداين في الوقت نفسه ان العمال لم يصلوا الى مرحلة النضال السياسي، وكان انصار هذا الرأي هم الانتهازيين، عرفوا فيما بعد ب (الاقتصاديين)، ورفضوا السير ابعد من النضال الاقتصادي. (Sunil Kumar Sarker, 1994, P.8.).

بعد ظهور الاقتصاديون، نشب صراع فكري بينهم وبين الثوريين في حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي، فقد كان الثوريون يسعون الى تحويل المجتمع الرأسمالي الى مجتمع اشتراكي، اما الاقتصاديون فكانوا مؤيدين للرأسمالية، ويدعون العمال الى التفاهم مع البرجوازية (Robert G. Wesson Op. Cit, P.16)، وعلى الرغم من تمسك الطرفين بمبادئهم وارههم، لكن هذا الصراع زاد من ثقافة العمال وتطلعاتهم.

في عام ١٩٠٠ ساهمت صحيفة (ايسكرا-Iskra) وهي صحيفة روسية اصدرها لينين في المانيا - في نمو وعي الطبقة العاملة السياسي، اذ ساعدت المقالات التي كُتبت في الصحيفة واطلع عليها العمال على امتزاج المطالب الاقتصادية بالسياسة، وبدأوا يطالبون بالحريات السياسية وانهاء الحكم المطلق.

(Branko M. Lazic and Milorad M. Brachkovitch, 1986, P.254.)

في العام نفسه اشترك اكثر من (١٠٠٠٠٠) عامل في تظاهرة في مدينة (خاركوف -Kharov) وطالبوا بسقوط الحكم المطلق، كما جرت في الوقت نفسه اضرابات وتظاهرات في العديد من المدن الروسية، لاسيما بطرسبورغ و(وديسا - Odessa) و(كييف - Kiev) وغيرها، وعلى اثرها حصلت مواجهات دموية بين العمال والقوات العسكرية الروسية تمخضت عن مقتل عدد من العمال، وفرضت الحكومة على ادارة المعامل قراراً يقضي بطرد قادة العمال من العمل (شميدت واخرون، المصدر السابق، ص١٠٤-١٠٥)، مما ادى الى اضراب جديد عام ١٩٠١، وكان اكثر تنظيم من الاضرابات الاخرى، وقد ركزت مطالبهم على اعادة المفصولين عن العمل، وتحديد ساعات العمل بثمان ساعات، لكن الحكومة لم تستجب للمطالب، وحصلت مصادمات مع

القوات العسكرية، ادت الى اعتقال اكثر من (٨٠٠) عامل، وحكم على قسم منهم بالاشغال الشاقة والسجن والنفي، مما ادى الى تزايد الاضرابات الاحتجاجية لتشمل كافة انحاء روسيا.

(Branko m. Lazic and milorad M.Brachkovitch, OP, Cit, P.255).

ازدادت حدة الاضرابات وتظاهرات العمال عام ١٩٠٢، ففي الاول من مايس، تظاهر العمال في مدينة (سورموفو - Surmovo)، ووصل عددهم الى (٥٠٠٠) عامل وأنشدوا الاغاني الثورية، وطالبوا بسقوط الحكم المطلق، ورفع العامل (زالوموف - Zalomov) راية حمراء عليها شعارات: (يسقط الحكم المطلق) و(عاشت الحرية السياسية)، مما يدل على مرحلة الوعي الذي وصل اليه العمال، لكن الحكومة القيصرية وجهت قوة عسكرية لمواجهة تلك التظاهرات، وتمكنت من اعتقال عدد من العمال ومنهم زالوموف، واثاء محاكمتهم القى زالوموف خطابا، طالب فيه بالحرية وانهاء الحكم المطلق.

(Richard Sakwa, 1999, P.10-12).

وفي تشرين الثاني ١٩٠٢، اضرب عدد من العمال في مدينة (روستوف - Rostov) ، مطالبين بتخفيض ساعات العمل الى (٩) ساعات وزيادة الاجور وانشاء مدارس للاطفال، لكن الاضراب سرعان ما تحول الى حراك سياسي واسع، اشترك فيه اغلب موظفي مؤسسات المدينة ، اذ بلغ عدد المضربين (٣٠٠٠٠) شخص.

(Branko m. Lazic and milorad M.Brachkovitch, OP, Cit, P.257).

نظم العمال المضربين اجتماعات عامة، تم فيها تقسيمهم الى لجان، وعمدوا على نشر اضرابهم خارج مدينة روستوف، لكن الحكومة بدأت تتابع الاجتماعات وتعمل على تهيئة القوات العسكرية لتطبيقها ومنع انتشارها، وعندما صدرت اليها الاوامر استعملت القوة لتفريق العمال، لكن صمود العمال اجبر القوات العسكرية على الانسحاب، وبعد وصول التعزيزات لها اطلقت النار على العمال العزل، مما ادى الى اصابة العديد منهم . (Richard Sakwa, , OP, Cit, P.15).

استمرت الحركة الاضرابية في التعاطم، فازداد عدد العمال المضربين عام ١٩٠٣ الى الضعف عما هو عليه عام ١٩٠٢، اذ ظهر اضراب في مدينة (باكو - Baku) وامتد الى (تبليس، باطوم، اوكرانيا، الدونباس - Donbas, Batumi Ukraine, Tbilisi) وامتاز الاضراب بالتنظيم والتضامن بين العمال في مختلف القوميات، واعلنوا عن مطالب جديدة، كان ابرزها: تحديد ساعات العمل بثمان ساعات، زيادة الاجور، حرية الاضرابات والاجتماعات حرية الكلام والنشر، تحسين ظروف العمل وغيرها، ويبدو ان الاجتماعات ساعدت على نمو الوعي الطبقي، فضلا عن الوعي السياسي للعمال، ورفع العمال المضربون شعار (يسقط الحكم المطلق)، وعلى الرغم من تمكن الحكومة من قمعهم ، لكن العمال ازدادوا قوة وتنظيم.

(Robert G. Wesson, OP. Cit, P.23)

في تموز ١٩٠٣ عقد المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي في بروكسل، ثم انتقل الى لندن، وصادق المؤتمر على برنامج الحزب الذي حدد الاهداف النهائية للبروليتاريا (برنامج الحد الاقصى)، والمهمات المباشرة (برنامج الحد الادنى) (Neil Harding, OP. Cit, P.338) ، واكد برنامج الحد الاقصى على الهدف النهائي لنضال البروليتاريا، وهو بناء الاشتراكية عن طريق تحقيق الثورة الاشتراكية، في حين ركز برنامج الحد الادنى على مهمات البروليتاريا في مرحلة الثورة الديمقراطية البرجوازية في قلب نظام الحكم، واقامة الجمهورية الديمقراطية، وتحقيق المساواة التامة في الحقوق بين الامم وتصفية بقايا نظام القنانة في الريف . (Margaret J. Goldstein, 2007, P.48-49)

مع ازدياد الحركة العمالية وتعاطم الحركة الثورية، بادرت الحكومة القيصرية عام ١٩٠٣ الى انشاء اتحادات عمالية مزيفة، الهدف منها تقويض الحركة العمالية وشقها من الداخل ووضعها تحت اشرافها المباشر، لكن هذه المنظمات لم تحقق اي نجاح، وذلك لرفض العمال الانضمام اليها، مما اضطرت الحكومة للجوء الى المراوغة بالوعود للقيام باصلاحات وتحسين الظروف المعاشية للعمال، لكنها لم تحقق اي من تلك الوعود . (Richard Sakwa, 1999, P.12-14).

ثانيا: مواقف الحركة العمالية من ثورة ١٩٠٥.

بعد قيام الحرب الروسية - اليابانية ، اندلعت بين عامي (١٩٠٥-١٩٠٧) ثورة شعبية، وكان العمال والفلاحين الطبقة الاكثر في النضال ضد القيصرية، وبعد ان ادت الحرب الى ازدياد حالة العمال سوءاً، قادت الطبقة العمالية تظاهرات واضرابات لم تكن شعاراتها اقتصادية فحسب، بل رفعت شعارات سياسية منها: (لتسقط الحرب)، (فليسقط الحكم المطلق)، فضلا عن المطالبة بتحديد ساعات العمل بثمان ساعات . (Richard Sakwa, 1999, P.13; B.A. ПоТатуров, 2004, C.25.)

حاولت الحكومة عن طريق رجال الامن في بطرسبورغ شق العمال، فشكلت (جمعية عمال المصانع والمعامل الروس) في بطرسبورغ في ٥ كانون الثاني ١٩٠٥، وكان هدفها اشغال العمال عن النضال السياسي، وحصر عمل الحركة العمالية بالنشاط الثقافي والاقتصادي، فضلا عن مساندة المشاعر الموالية للقيصر الروسي بين العمال، لكن سرعان ما علم العمال بأهداف هذه الجمعية، لذا طردوا العمال المنتمين اليها من التواجد فيما بينهم. (Martyn Alicia Del Bosqus, 2009, P.5.)

في ١٨ كانون الثاني ١٩٠٥ اضرب عمال مصنع (بوتيلوف - Putilov) وانتشر الاضراب في بطرسبورغ، وتوقف العمل في اغلب المؤسسات الحكومية، وتمكن العمال من قيادة تظاهرة سلمية، وقدموا عريضة بالاشتراك مع البلاشفة، مطالبين بعقد المجلس التأسيسي، فضلا عن حرية الكلام والاجتماعات وتحديد ساعات العمل بثمان ساعات وغيرها (B.A. ПоТатуров, Там же, C. 55-56.) ، لكنها لم تجد اذان صاغية من الحكومة، بل اتجهت الحكومة الى استعمال القوة العسكرية ضد العمال المتظاهرين ومنعهم من الوصول الى القصر القيصري، وفي اليوم التالي توجه المتظاهرون الى قصر الشتاء، لكن القوات العسكرية قطعت الشوارع والساحات واستعدت لاطلاق النار على المتظاهرين إن استمروا في التوجه نحو القصر، لكن العمال اصروا على استمرار التظاهرة، مما اضطرت القوات العسكرية الى اطلاق الرصاص الحي على المتظاهرين، لكن العمال المتظاهرين تمكنوا من الوصول الى القصر وتجمعوا في ساحته، وفي هذه الاثناء فوجئوا باطلاق نار بصورة عشوائية، وتوجه فرقة الخيالة الى ضرب المتظاهرين الجرحى بالسيوف، اذ قتل من العمال اكثر من (١٠٠٠) شخص وجرح (٥٠٠٠) شخص، وعرف هذا اليوم بالاحد الدامي.(Abraham Ascher, 2008, P. 15-16.)

بعد تلك المجزرة اشتد غضب العمال، وتسلحوا بما يملكونه من اسلحة خاصة، وتمكنوا من الاستيلاء على ورش لصنع السلاح، وشرعوا ببناء المتاريس، وخاضوا معارك غير متكافئة مع القوات الحكومية، تكبدوا فيها خسائر كبيرة في الارواح، فضلا عن اعتقال عدد من العمال.(Martyn Alicia Del Bosqus, OP. Cit, P.9-10; Abraham Ascher, Op.Cit, P.16.) اثارت تلك الاحداث الدامية العمال في كافة انحاء روسيا، وحصلت اضرابات جماهيرية رافقتها تظاهرات سياسية اصطدمت مع القوات العسكرية القيصرية في كل من ريغا وموسكو وتبليس وغيرها، كما اضرب اكثر من (٤٤٠٠٠٠) عامل من عمال الصناعة، مما شلَّ الحركة الصناعية في البلد، وقد ساندتهم الطلاب والمتقنون والاطباء والمعلمون ، وتبعها ظهور انتفاضة فلاحية ساندت تظاهرات العمال (urmila Sharm and O.S.K Sharma,2006,P.228; Рейснер русская, 1955.C.14.) ، وقد كتب لينين يقول: "لقد تحولت روسيا الناعسة الى روسيا البروليتاريا الثورية والشعب الثوري". (بيبقانوف وفيدوسون، المصدر السابق، ص٤٩٤.)

في الاول من ايار ١٩٠٥ ، واثناء الاحتفال بعيد العمال العالمي، تجددت الاضرابات والتظاهرات، فقد تحول الاحتفال الى تظاهرة شملت عمالا من مختلف القوميات في الامبراطورية الروسية، واتسمت بطابع سياسي، وحصلت اشتباكات دموية في اوديسا وريغا ووارشو وباكو، وقد حاولت السلطات المحلية التفاوض مع العمال، لكن العمال وضعوا مطالب مستقبلية وعدّوها شروطا للتفاوض، ومنها تحديد يوم العمل بثمان ساعات، زيادة الاجور، حرية الكلام والنشر، وعقد المجلس التأسيسي.

(Richard Sakwa, , OP, Cit, P.15-16.)

اسس العمال هيئة اسميت بـ (مجلس المفوضين)، هدفها قيادة التظاهرات والاضرابات وشملت ممثلي كافة المصانع والمعامل التي اشتركت في الاضراب، وكان عددهم (١٥١) عامل، وبذلك أنشأ اول سوفبيئات (مجالس) نواب العمال في روسيا، وتمكنوا من تنظيم الاضراب، فضلا عن انشاء قوات قتالية غير نظامية، كما انها شكلت لجنة لمفاوضة الحكومة، لكن الحكومة لم تعترف بتلك

المجالس، وحشدت قواتها لمواجهة العمال المضربين، واجتاحت احد الاجتماعات، واستعملوا اشد اساليب القسوة والبطش، كما ان المعاناة التي تعرض لها العمال نتيجة المدة الطويلة للاضراب كانت عوامل ادت الى انتهاء الاضراب. (Urmila Sharm and O.S.K Sharma, OP.Cit, P.229.)

تجددت الاضرابات مرة اخرى، ففي ايلول ١٩٠٥ اضرب عمال المطابع وعمال سكك الحديد والخيازون وعمال التبغ، وترتب عليه اشتباكات عنيفة مع القوات القيصريية، ففي تشرين الاول من العام نفسه اضرب عمال سكك الحديد في موسكو - كازان، وتوسع الاضراب ليمتد الى بطرسبورغ، وسرعان ما تحول الى اضراب سياسي لعموم روسيا، وظهرت شعارات (يسقط الحكم المطلق) و (عاشت الانتفاضة الشعبية الشاملة)، وتوسع الاضراب ليشمل قطاعات اخرى كالاطباء والمهندسون والمعلمون وغيرهم، وتوقفت المعاهد والجامعات عن الدوام، كما تعطلت، دوائر البريد والتلغراف، وتوقفت الصحف عن الصدور، وبرزت مجالس السوفييتات في المطالبة بحقوق العمال، وعلى اثر هذا التصعيد اضطرت الحكومة للتنازل، واصر القيصر (نيقولا الثاني - 11 Nikola) بيانا وعد فيه بعقد مجلس الدوما، ومنح السكان الحريات التامة (Margaret J. Goldstein, 2007, P.52.) ، وهذا يُعدّ اول انتصار كبير يحققه العمال.

في كانون الاول ١٩٠٦، اعلنت الحكومة القيصريية حالة الطوارئ، وعلى اثر ذلك بدأت مرحلة الهبوط التدريجي للثورة، وتم التنكيل بالعمال والفلاحين، فقد اعتقل عدد كبير منهم وابرزهم (سفيردوف - Sverdlov) ** ، ومع كل هذه الاجراءات، لكن العمال حصلوا على بعض الحقوق منها، تخفيض ساعات العمل وتحسين شروطه، كما نال العمال الحق في تأسيس النقابات، فضلا عن زيادة اجور العمل. (Maxim Litvinoff, 1919, P.5.) .

جرت انتخابات دوما الدولة الاول عام ١٩٠٦، وقد حُرّم فيها ثلاثة ارباع العمال من الحقوق الانتخابية، وفاز في الانتخابات حزب الديمقراطيين الدستوريين الذي سمي بـ (الكاديت - Kadit) ، والذي وقف الى جانب القيصر ضد مطالب العمال (Margaret J. Goldstein, OP. Cit, P.53.) ، وسرعان ما حصل خلاف في مجلس الدوما بين نواب العمال والفلاحين الذين صاروا يُسمون بأسم جماعة العمل مع حزب الكاديت، لكن الحكومة القيصريية سارعت الى مطاردة العناصر الثوريية في جماعة العمل واغتيال البعض منهم ، مما كانت حجة للقيصر الروسي بحل المجلس. (Maxim Litvinoff, OP. Cit, P.8.)

بعد انتهاء الثورة سادت البلاد حالة من الركود الاقتصادي، فقد اغلقت بعض المصانع، وتقلص الانتاج الصناعي، فاستغل الصناعيون هذا الركود وقاموا بتسريح العمال الذين اشتركوا في الثورة، وزيادة ساعات العمل، وتخفيض الاجور، ولم يكتفوا بذلك، بل سجلوا اسماء العمال المتسرحين بقوائم سميت بـ (القوائم السوداء)، واصدروا امرا بعدم قبولهم في العمل بأي مكان من البلاد الروسية. (Richard Sakwa, OP.Cit, P.15-18.)

في عام ١٩٠٩ بدأت مرحلة جديدة من الاضرابات والتظاهرات العمالية بعد مرحلة من الركود، والتطور الذي حصل في الصناعة وارتفاع الاسعار، فبدأ العمال بتنظيم انفسهم من جديد، لاسيما بعد ازدياد اعداد الطبقة العاملة، كما انهم اخذوا يعلنون مطالب سياسية بعد ان كانت مطالبهم وشعاراتهم اقتصادية فقط، وكان ذلك واضحا بعد خروجهم بتظاهرة عام ١٩١٠، وفيها طالبوا بالغاء احكام الاعدام، واعادة النظر في الاحكام الجائرة بحق العمال والنواب الذين ساندوهم في مجلس الدوما. (David H. Degrood, P.72.)

صادف في تلك المرحلة ذاتها تضرر العمال في مناجم الذهب الواقعة على نهر (لينا - Lina)، وكان اصحاب هذه المناجم من الجنسيات الروسية والاجنبية، هدفهم جني الارباح الهائلة، فقد كان العمال يعانون من يوم العمل الذي يستمر من (١٤-١٦) ساعة، فضلا عن تدني الاجور، بسبب الغرامات واساليب الغش التي يمارسها اصحاب المناجم ضد العمال، كما ان الاجور لم تكن مبالغ نقدية، بل على شكل بطاقات تدفع للعمال على ان يشترون بها المواد الغذائية من مخازن اصحاب العمل الذين يتلاعبون بالاسعار كما يشاؤون . (Sidney Harcave, 1959, P.109.)

في شباط ١٩١٢ كان بيع اللحم الفاسد للعمال السبب الرئيس في الاضراب الذي شمل كافة عمال المناجم، وبمبادرة من البلاشفة تم تنظيم العمال في لجان منظمة. ساعدت على جعل الاضراب سلمي ومنظم، واقتصرت مطالب العمال على: تحديد

العمل بثمان ساعات، زيادة الاجور، الغاء الغرامات التي تفرض على العمال، والمطالبة بالمعاملة اللائقة للعمال وتحسين شروط السكن . (Olga Hess Gankin and H. H. fisher, 1940, P.27.) .

لم تجد تلك المطالب اذان صاغية من ادارات العمل، بل انها توعدت العمال بتسريحهم وطردهم من المساكن التي يعيشون فيها وقطع المواد الغذائية عنهم، لكن العمال صمدوا وثبتوا امام السلطات القيصريّة التي طالبتهم باخلاء المساكن، وسرعان ما اتجهت الحكومة الى اساليب العنف لقمعهم، فتم اعتقال اعضاء لجنة الاضراب، فاستغل العمال وجود المدعي العام، فتوجهوا لتقديم شكوى رسمية، لكن القوات العسكرية قطعت الطريق عليهم، مما كان عاملا مباشرا في التصادم بين الطرفين، واستعملت القوات القيصريّة السلاح الحي ضد العمال، فقتلت اكثر من (٥٠٠) عامل. (Sidney Harcave, OP. Cit, P.111.) .

اثارت هذه الجريمة عمال روسيا بأسرها، فتحولت البلاد الى تظاهرات واضرابات واجتماعات جماهيرية، وتعاضمت في الاول من ايار ١٩١٢، اذ اضرب اكثر من مليون شخص، فشلت حركة البلاد، وقد شملت بطرسبورغ وموسكو ومناطق البلطيق واورانيا والقفقاس، كما ان مطالبهم لم تقتصر على الجانب الاقتصادي، بل شملت مطالب سياسية جديدة.

(Maxim Litvinoff, OP.Cit, P.8) .

تمكن البلاشفة من دعم وتوسيع الحركة العمالية واعادها لمرحلة النهوض الثوري الجديد، وضم العمال الى نواة الحزب، والعمل على تحقيق مطالبهم، وقد جسد هذه المهمة المجلس الحزبي الذي انعقد في براغ ١٩١٢، والذي أكد على مطالب العمال في ثمان ساعات عمل، وفي العام نفسه تأسست صحيفة (البرافدا - AL Pravda) بفضل تبرعات العمال، مما يمثل الوعي السياسي للعمال ونضوجهم الفكري، وقد لعبت الصحيفة المذكورة التي صارت صحيفة العمال دورا مهما في اعداد العمال للنضال، فضلا عن نقلها اخبار التظاهرات والاضرابات العمالية. (Olga Hess Gankin and H. H. fisher, OP. Cit, P.29.) .

ثالثا: ظروف العمال في الحرب العالمية الاولى.

في عشية الحرب العالمية الاولى اشتد الوضع الثوري، وبلغت الحركة العمالية نطاقا واسعا، اعادت الى الازدهان ثورة ١٩٠٥، وسادت البلاد موجة من التظاهرات والاضرابات ، ففي ايار ١٩١٤ اضرب عمال النفط في باكو ، وبلغ عدد العمال المضربين (٥٠٠٠٠) عامل ويشكل منظم تحت قيادة البلاشفة.(Sidney Harcave, OP. Cit, P.120) ، لكن القوات القيصريّة استعملت معهم اشنع انواع القسوة لقمع الاضراب، وتمكنت من اعتقال اعداد كبيرة منهم، وفي بطرسبورغ سارع العمال لمساندة اضراب باكو، وقاموا بتظاهرة في تموز ١٩١٤، اصطدمت مع القوات القيصريّة التي سرعان ما اطلقت النار على المتظاهرين، لاسيما عمال مصانع بوتيلوف، وعلى اثر ذلك اعلن العمال اضرابا عاما لمدة ثلاثة ايام، وعمت تظاهرات كبيرة رفع فيها رايات حمراء، وحمل السلاح واقامة المناريس، لكن القوات القيصريّة اصطدمت معهم وتمكنت من فرض سيطرتها وقمع الانتفاضة.(Olga Hess Gankin and H. H. fisher, OP. Cit, P.33.) .

بعد دخول روسيا الحرب العالمية الاولى، تحمل العمال اعباء تلك الحرب، اذ صارت ساعات العمل من (١١-١٢) ساعة يوميا، فضلا عن سوء ظروف العمل وارتفاع الاسعار، مما ادى الى استياء الطبقة العاملة، واشتدت الحركة الاضرابية من جديد ابتداءً من عام ١٩١٥، لاسيما في موسكو وبتروغراد، لكن الحكومة القيصريّة نكلت بالعمال والمتظاهرين واطلقت النار عليهم، ما اضطر العمال الى الاتجاه نحو الاضراب السياسي، فقد اضرب اكثر من نصف مليون عامل، واتسعت الحركة الاضرابية بداية عام ١٩١٦، ليصل العدد الى مليون عامل، وأعيدت التظاهرات مرة اخرى بشكل سياسي من خلال الشعارات التي رُفعت، ومنها: (تسقط الحرب) و(يسقط الحكم المطلق). (Ponomarv and other, OP. Cit, P. 82.) .

أدت الهزائم العسكرية الفادحة للجيش القيصري، وعدم مهارة القيادة في ادارة المعارك، ورداءة التموين، والخسائر الفادحة، الى نمو المشاعر المعادية للحرب والفرار الجماعي من المعارك، كما بدأ في الخطوط الامامية من الجبهات العسكرية ظهور حالة التآخي بين الجنود الروس والعدو.(К.Б.Валиуллин, 2002. C.24.) ، لذا نشأ وضع ثوري في صفوف الطبقة العاملة، وبدأ التلويح بانتفاضة عامة يمكن لها ان تقلب الامور السياسية، وصادف في تلك المرحلة توقف العديد من المصانع، بسبب نقص

الفحم، ووجود شلل حقيقي في السكك الحديدية، فضلا عن قلة الحبوب وبروز المجاعة في المدن الكبيرة وظهور نظام توزيع المون بالبطاقات، وارتفعت اسعار المواد الغذائية ثمان مرات. (Paul P. Gronsky, 1959, P. 77-78.) ادت تلك الاسباب الى ازدياد نشاط الحركة العمالية، وسرعان ما ظهرت التظاهرات والاضرابات في موسكو وبيتروغراد بمناسبة الذكرى السنوية للاحد الدامي عام ١٩٠٥، وكان اضراب موسكو في ٩ كانون الثاني ١٩١٧ اكبر اضراب شهدته روسيا، فضلا عن الاضرابات التي شهدتها المصانع ومنها بوتيلوف، وحصول الاشتباك مع القوات العسكرية في مصنع (ابوخوف - Obukhov)، كما تأثر عمال بعض المناطق الاخرى بالتظاهرات والاضرابات التي عمت موسكو وبيتروغراد، فحدثت امثالها في خاركوف وباكو والدونباس وغيرها، وقد رفع اغلب تلك التظاهرات شعار (يسقط الحكم المطلق) (Edward Arnold, 1978, P. 128.)

سارعت تلك الاحداث الى اتخاذ الاوساط الحكومية خطة عقد صلح منفرد مع المانيا، والتفرغ لضرب الحركة الثورية مع الداخل، لكن في الوقت نفسه ازدادت سلسلة الاضرابات والتظاهرات العمالية بداية شباط ١٩١٧، ورفعت شعار اسقاط النظام القيصري. (Paul P. Gronsky, OP. Cit, P.81.)

على الرغم من الاساليب القمعية القاسية التي اتبعتها القوات العسكرية مع المتظاهرين، لكن النهوض الثوري كان في حالة تزايد، ففي ١٤ شباط من العام نفسه جرت تظاهرة كبيرة تطورت الى انتفاضة مسلحة، وفيها حصل تعاون بين العمال والبلاشفة على تعبئة الجماهير، ورافق ذلك اغلاق بعض الورش والمصانع ومنها مصنع بوتيلوف، وتمكن العمال من تنظيم انفسهم في مجاميع قتالية في المعامل، وتوقفت على القوات القيصرية، وبعد تسارع تلك الاحداث، واوشكت الثورة على الانتصار، اسرعت البرجوازية لاستلام زمام المبادرة، وتنازل القيصر نيقولا الثاني عن العرش لاختيه (ميخائيل - Mikhail) في ٢ اذار ١٩١٧، لكن الاخير اضطر تحت ضغط الجماهير التخلي عن العرش. (Edward Alsovvrth Ross, 1921, P.51.)

نشأ في البلاد ازدواج السلطة، اذ كانت هناك سلطتين في آن واحد وهو سوفيينات نواب العمال والجنود والفلاحين (ديكتاتورية البروليتاريا)، والحكومة المؤقتة (ديكتاتورية البرجوازية)، وعملت الحكومة المؤقتة البرجوازية على اعادة الجنود الى الثكنات العسكرية والاستمرار في الحرب، في حين اصدر سوفيت بيتروغراد الاوامر بالغاء الانظمة القيصرية في الجيش (Edward Arnold, OP. Cit, P.130; A.A. Данилов и A.B. Филиппов, 2009, C.409.) وخلال تلك المرحلة قام الحزب البلشفي بنشاط كبير لاعداد الجماهير والانتقال للثورة الاشتراكية بالاعتماد على الطبقة العاملة، وبعد بضعة شهور تمكنت الطبقة العاملة بالتحالف مع الفلاحين تحت قيادة الحزب البلشفي بزعامه لينين من الانتصار وعلان الثورة الاشتراكية عام ١٩١٧. (Peter kenez, 1999, P. 29-30.)

الخاتمة.

عانت الطبقة العاملة الروسية في بداية مراحلها المبكرة من عدم التنظيم والافتقار الى وجود قيادة موحدة، بسبب نقص الوعي بين العمال، وارتباط القسم الاكبر منهم بالريف، لكن ذلك لم يستمر طويلا، فبعد تأسيس اتحاد النضال، بدأ العمال في تحديد مطالبهم وتغيير الاساليب التي يتبعونها في مواجهة الحكومة القيصرية.

افتقار العمال الى صحافة وطنية يلتفون حولها حتى عام ١٨٩٥ بعد اصدار صحيفة سرية سميت بـ (القضية العمالية)، لكنها سرعان ما اغلقت من قبل الحكومة، وبعد تأسيس حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي، ساهمت صحيفة الايسكرا في وعي الطبقة العاملة، وربطت بين المطالب السياسية والاقتصادية.

استوعب العمال الدروس والتجارب من الاحداث التي مرت بها روسيا، لاسيما دورهم المباشر في احداث ثورة ١٩٠٥، وتحولهم الى قوة محركة اساسية في مواجهة الحكومة القيصرية، كما انها خطت خطوات فعالة الى الامام انعكست بشكل خاص على تبلور مسارها الذاتي والتغيير السياسي للبلد.

حقوق العمال مكسبا مهما تمخض عن الصراع الطويل مع الحكومة القيصريّة، تمثل باعلان الثورة الاشتراكية في روسيا ١٩١٧، والتي ضمنت للعمال حقوقهم واشركتهم في السلطة السياسية لقيادة البلد .

المصادر .

(١) يبيفانوف وفيدوسوف، تاريخ الاتحاد السوفييتي، ترجمة: دار التقدم، موسكو، ١٩٧٠.

(٢) شميدت واخرون ، موجز تاريخ الاتحاد السوفييتي ، ترجمة : دار التقدم ، موسكو ١٩٨٦

(3)A.АДанилов и А.В. Филиппов, освещение общей истории России и народов постсоветских,Москва, для публикации Москва 2009. (4)AbrahamAscher, Interpreting 1905, The Revolution of 1905 and Russas jew, pennsy Lvania, 2008.

(5) Branko M. Lazic and Milorad M. Brachkovitch, Biographical Dictionary of the comintern, California, 1986.

(6) В.А. ПоТатуров, ОТЕЧЕСТВЕННАЯ ИСТОРИЯ, Московский институт экономики, менеджмента и права, Москва, 2004.

(7)DavidH.Degro , consciousness and social Life, Amsterdam.

(8) Edward Alsovtrh Ross, the Russia Bolshevik Revolution, the century Co. New York, 1921.

(9) Edward Arnold, years of chany European History (1800-1945), London, 1978.

(10) ГддР разработка программы и тактики коммунистической партии Ирана в (1920-1921) годах, журнал Азии и номер 3, Москва, 1976.

(11) Harding, Lenins political thought theory and practice in the Demoratic and socialist Revolution, Chicago, 2002.

(12) К.Б.Валиуллин, Р.К.Зарипова, История России XX век, Часть 2, БАШКИРСКИЙ ГОСУДАРСТВЕННЫЙ УНИВЕРСИТЕТ, 2002.

(13) Margaret J. Goldstein, Vladimir Lenin A and E biography, Minnesota, 2007.

(14) Margaret J. Goldstein, Vladimir Lenin A and E biography, Minnesota, 2007.

(15) Martyn Alicia Del Bosqus, from the Neutrality to war what Russian Revolution had to do with Wilson's oleclson to euter the war, Honors thesis, texes state university- san mareos, Texas, 2009.

(16) Maxim Litvinoff, The Bolshevik Revolution Its Rise and meaning the British social party, London, 1919.

(17) Murray Bookchin, The third Revolution: popular movements in the Revolution, New York, 2004.

(18) Olga Hess Gankin and H. H. fisher, the Bolsheviks and the world war: the origins of the third international, California, 1940.

(19) Paul P. Gronsky, the war and Russian Government, the central Government U.S. A, 1959.

(20) Peter kenez, A history of the soviet union from the Beginning to the End, second edition, Cambridge university, U.S.A, 1999.

(21) Ponomarv and others. A short History of the communist party of the Soviet Union, translated by shuirsky, Moscow, 1970.

(22) Рейснер русская революция (1905-1907) годов и пробуждение в Азии народов журнал Советское востоковедение выпуск 2, , М., 1955.

(23) Richard Sakwa, The Rise and Fall of the soviet union 1917-1991, Revoluttedge, New York, 1999.

(24) Robert G. Wesson, Lenins's Legacy, The story of the CPSu, California, 1974.

(25) Sidney Harcave, Russia A history, U.S.A, 1959.

(26) Sunil Kumar Sarker, The Rise and Fallof, New Deli , 1994.

(27) urmila Sharm and O.S.K Sharma, western Political thought, Vol.11, New Delhi, 2006.

(28) Vladimir Lilch Lenin, The Birth of Bolshevism Lenin's struggle against Economism, New South wales, 2005.

*الحرب الروسية – اليابانية: نشبت هذه الحرب بسبب التنافس على مناطق النفوذ بين الدولتين والمتمثلة في منطقة منشوريا الصينية، وكانت نتيجتها هزيمة مذلة للجيش الروسي، وتوقيعها معاهدة بروتموث عام ١٩٠٥. يراجع :

F.O, Documents on British foreign policy 1905, correspondence respecting contraband of war in connection with the Hostilities between Russia and Japan, Vol. C111, 2007: A Aivananov and P Jowett, The Russo- Japanese war (1904- 1905), osprey publishing Ltd Great retain, 2004, P. 3-13.

**سفر دلوف: سياسي اشتراكي روسي، ابرز اعضاء حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي، كان له دور في كتابة الدستور للدولة الروسية ، شغل العديد من المناصب ، ابرزها: وزيراً للداخلية ورئيس اللجنة التنفيذية، توفي عام ١٩١٩ .

Bary Jones, dictionary of word biography, Canberra, 2013, P.808.